فصل[١]

ومن منازل «إياك نعبد وإياك نستعين» منزلة : «الصبر»[٢]. منزلة الصبر

قال الإمام أحمد[٣] : ذكر الله[٤] الصبر في القرآن في نحو من[٥] تسعين موضعاً[٦][٧].

وهو واجب بإجماع الأمة[٨] ، وهو نصف الإيمان فإن الإيمان نصفان :

---

(١) حاشية س (منزلة الصبر) ، وحاشية ش (باب الصبر).

(٢) الصبر : هو عند الطائفة : حبس النفس علىٰ الطاعات ، ولزوم الأمر والنهي ، ثم علىٰ ترك رؤية الأعمال ، وترك الدعوىٰ مع مطالبة الباطن بذلك ، وعلىٰ الإعراض عن إظهار العلوم والأحوال ، والصبر علىٰ مقامات البلايا حتىٰ تصير المحنة منحة ، وحتىٰ يكون مقامه الشكر بدل الصبر ، فالصبر أعم المقامات حكماً وأشملها أثراً ، وقال بعضهم : هو أن تصبر في الصبر ، انظر : التعرف ١١٠ ، الرسالة القشيرية ٢٨٦ ، لطائف الإعلام ٢/ ٥٣ ـ ٥٤ ، معجم مصطلحات الصوفية ١٤٧.

ونقل ابن القيم في عدة الصابرين وطريق الهجرتين جملة من أقوالهم في تعريف الصبر ، ومنزلته من الدين ، وفيهما كلام نفيس في هذه المنزلة ، في ٤٤ من عدة الصابرين ، طريق الهجرتين ٢٩٥.

(٣) ط (رحمه الله تعالىٰ).

(٤) (ذكر الله) سقطت من ط.

(٥) (من) سقطت من ق ، ط.

(٦) (موضعاً) سقطت من أ ، ب.

(٧) انظر هامش قوت القلوب ٢/ ٢٣٧، عدة الصابرين ٧١، الفتاوىٰ ١٠/ ٣٩، التحفة العراقية ٣٥٤.

(٨) عن الإجماع علىٰ وجوب الصبر ، قال شيخ الإسلام : «... ولهذا كان الصبر واجباً باتفاق

نصف صبر، ونصف شكر[1].

وهو في[2] القرآن علىٰ ستة عشر نوعاً:

أنواع الصبر في القرآن وأدلته

الأول: الأمر به، نحو قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقوله: [﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾][3] [البقرة: ٤٥] وقوله: ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧].

الثاني: النهي عن ضده، كقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا

المسلمين علىٰ أداء الواجبات وترك المحظورات ويدخل في ذلك الصبر علىٰ المصائب عن أن يجزع فيها والصبر عن اتباع أهواء النفوس فيما نهىٰ الله عنه - إلىٰ قوله - أما الرضىٰ فقد تنازع العلماء والمشايخ من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم في الرضىٰ بالقضاء هل واجب أو مستحب، علىٰ قولين: فعلىٰ الأول يكون من أعمال المقتصدين، وعلىٰ الثاني يكون من أعمال المقربين» الفتاوىٰ ١٠/ ٣٩ - ٤٠، التحفة العراقية ٣٥٣.

لكن الرضىٰ بما أمر الله به فأصله واجب وهو من الإيمان، الفتاوىٰ ١٠/ ٤١.

(١) لعل ذلك استناداً إلىٰ ما أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٤) موقوفاً علىٰ ابن مسعود، والطبراني في الكبير (٩/ ١٠٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٧٤)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٤٠)، وقال رواته رواة الصحيح وهو موقوف، وقد رفعه بعضهم، وقد رجح عدم رفعه البيهقي في شعب الإيمان، وابن حجر كما في التعليق (٢/ ٢٢)، وضعفه الألباني مرفوعاً في الضعيفة (٤٩٩)، وقد علق البخاري قول ابن مسعود، انظر الفتح (١/ ٦٣).

(٢) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق (مذكور).

(٣) ما بين المعقوفين سقط من ق.

﴿نَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف :٣٥]، وقوله : ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال : ١٥]، فإن تولية الأدبار: ترك للصبر والمصابرة، وقوله: ﴿وَلَا نُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد :٣٣] فإن إبطالها ترك للصبر[١] علىٰ إتمامها، وقوله : ﴿وَلَا تَهِنُوا۟[٢]﴾ [آل عمران :١٣٩] فإن الوهن من[٣] عدم الصبر.

الثالث[٤] : الثناء علىٰ أهله، كقوله[٥] : ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ الآية [آل عمران :١٧] وقوله : ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة :١٧٧] وهو كثير في القرآن.

الرابع : إيجابه سبحانه محبَّته لهم، كقوله : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران :١٤٦].

الخامس: إيجاب معيَّته لهم[٦]، وهي معية خاصة، تتضمن حفظهم ونصرهم، وتأييدهم، ليست معية عامة، وهي معية العلم، والإحاطة، كقوله : ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال : ٤٦]، وقوله : [﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾][٧]

---

(١) ط (الصبر).

(٢) ط، م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق ﴿ولا تحزنوا﴾.

(٣) (من) سقطت من ش.

(٤) ح٢ (والثالث).

(٥) ط (تعالىٰ).

(٦) (لهم) سقطت من ش.

(٧) ما بين المعقوفين سقط من م، أ، غ، ح٢، ب.

[البقرة:٢٤٩، الأنفال:٦٦].

السادس: إخباره بأن الصبر خير لأصحابه، كقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦]، وقوله: ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النساء:٢٥].

السابع: إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم، كقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[النحل:٩٦].

الثامن: إيجابه(١) الجزاء لهم بغير حساب، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

التاسع: إطلاق البُشرىٰ لأهل الصبر، كقوله(٢) تعالىٰ: [﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾](٣) و(٤) ﴿بَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥].

العاشر: ضمان النصر(٥) والمدد لهم، كقوله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٥].

---

(١) ط (سبحانه) وفي أ، ب، غ (إيجاب).

(٢) (كقوله تعالىٰ) سقط من ق.

(٣) ما بين المعقوفين سقط من م، أ، غ، ح٢، ب، وفي ق إلىٰ قوله ﴿والجوع﴾.

(٤) ق (كقوله تعالىٰ).

(٥) م، أ، غ، ح٢، ب، د (النصرة).

ومنه قول النبي ﷺ: «واعلم أنّ النّصر مع الصبر»[١].

الحادي عشر: الإخبار[٢] أن أهل الصبر هم أهل العزائم، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورىٰ:٤٣].

الثاني عشر: الإخبار أنه ما يُلَقّىٰ الأعمال الصالحة وجزاءها والحظوظ[٣] إلا أهل الصبر، كقوله تعالىٰ: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص:٨٠] وقوله: ﴿[ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾][٤]وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٤، ٣٥].

الثالث عشر: الإخبار أنه إنما ينتفع بالآيات والعبر أهل الصبر، كقوله تعالىٰ[٥]: ﴿[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ][٦] أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ

---

(١) هذا جزء من حديث ابن عباس، وهو عند أحمد من طرق كثيرة في سياق واحد ولم يميز بين ألفاظ بعضهم من بعض، وأسانيد أحمد لا تخلو من مقال فعلىٰ هذا لا تصح هذه اللفظة (١/ ٣٠٧)، الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٤١، ٦٤٢)، وقال حديث كبير عال، ولم يخرجاه، الطبراني في الكبير (٢/ ٢٣٨)، والبغوي في شرح السنة (٢/ ١٢٣)، والأحاديث المختارة للمقدسي (١٠/ ٢٤).

(٢) م، أ، غ، ح٢، ب، ق (منه تعالىٰ بأن).

(٣) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق (العظيمة).

(٤) ما بين المعقوفين في الأصل فقط.

(٥) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق، ط (لموسىٰ).

(٦) ما بين المعقوفين في الأصل (ولقد أوحينا إلىٰ موسىٰ) وهو خطأ والمثبت من المصحف و ش، ق.

ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم : ٥]، [وقوله في أهل سبأ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾](١) [سبأ:١٩]، وقوله في سورة الشورىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ(٢) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الشورىٰ:٣٢ - ٣٣].

الرابع عشر: الإخبار بأن الفوز بالمطلوب(٣)، والنجاة من المرهوب(٤)، ودخول الجنة، إنما نالوه بالصبر، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد:٢٣ - ٢٤].

الخامس عشر: أنه يورث صاحبه الإمامة، [سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين(٥)](٦)، ثم(٧) تلا قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ(٨) أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من أ، غ، ح٢، ب.

(٢) م، ح٢ قال: الآية ولم يكملها.

(٣) ط (المطلوب المحبوب).

(٤) م، أ، غ، ح٢، ب (المحبوب) و ط، د (المكروه).

(٥) الفتاوىٰ (١٠/ ٣٩)، التحفة العراقية (٣٥٤)، وقال ابن كثير في تفسيره قال بعض العلماء، ثم ذكر هذا القول (٣/ ٤٦٤).

(٦) ما بين المعقوفين سقط من م، أ، غ، ح٢، ب.

(٧) أ، ب (كقوله تعالىٰ).

(٨) (منهم) سقط من الأصل.

بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

السادس عشر: اقترانه بمقامات الإسلام، والإيمان، كما قرنه[١] سبحانه باليقين وبالإيمان، وبالتقوىٰ والتوكل و[٢] الشكر والعمل[٣] والمرحمة[٤].

ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له[٥]، قال[٦] عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «خيرُ عيشٍ أدركناه بالصبر»[٧].

وأخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «أنّه ضياء»[٨]، وقال: «من يتصبَّر[٩]

---

(١) ط (لفظ الجلالة).

(٢) ط (وبالشكر).

(٣) أ، غ، ب، ط (الصالح).

(٤) م، أ، غ، ح٢، ب، د، س، ق (الرحمة).

(٥) أورد هذا القول عن علي رضي الله عنه عند أبي نعيم في حلية الأولياء (١/ ٧٦)، والقشيري في الرسالة القشيرية (١/ ٤٥٤).

(٦) ط (وقال).

(٧) علقه البخاري في كتاب الرقاق باب الصبر عن محارم الله (٤/ ٨٦) باب (٢٦)، وهو في الزهد للإمام أحمد (ص١٤٠) والزهد لابن المبارك (ص٢٢٢)، وفي حلية الأولياء (١/ ٥٠)، وأورده الديلمي في مسند الفردوس عن أنس (٢/ ٤١٤) رقم(٣٨٤٠).

(٨) مسلم. الطهارة (١/ ٢٠٣) ح(٢٢٣)، الترمذي في الدعوات (٤/ ٥٣٥) ح(٣٥١٧)، وصححه، صحيح النسائي للألباني (٢/ ١٧٤) ح(٢٤٣٦).

(٩) ش (من تصبر).

يُصبِّره الله»[١].

وفي الحديث الصحيح[٢]: «عجباً لأمر المؤمن! إنَّ أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إنْ أصابته سرَّاء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له»[٣].

وقال للمرأة السوداء التي كانت تُصرع[٤]، فسألته: أن يدعو لها: «إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإن شئتِ دعوت الله أن يعافيك، فقالت: إنِّي أتكشف فادْعُ الله: أنْ لا أتكشف، فدعا لها»[٥].

وأمر الأنصار[٦] بأن[٧] يصبروا علىٰ الأثرة التي يلقونها بعده، حتىٰ يلقوه علىٰ الحوض[٨].

---

(١) البخاري. الزكاة (١/ ٤٥٥) ح(١٤٦٩)، مسلم. الزكاة (٢/ ٧٢٩) ح(١٠٥٣)، الترمذي. البر والصلة (٤/ ٣٧٣) ح(٢٠٢٤).

(٢) ش، د، ق (عنه).

(٣) مسلم. الزهد (٤/ ٢٢٩٥) ح(٢٩٩٩)، أحمد (١/ ١٨٢) (٤/ ٣٣٣)، الدارمي. الرقاق (٢/ ٢٦٦) ح(٢٧٨٠) وابن حبان في صحيحه (٧/ ١٥٥).

(٤) د (تضرع).

(٥) البخاري. المرضىٰ (٤/ ٢٥) ح(٥٦٥٢)، مسلم. البر والصلة (٤/ ١٩٩٤) ح(٢٥٧٦)، أحمد (١/ ٣٤٧).

(٦) ط (رضي الله عنهم).

(٧) ش (أن).

(٨) البخاري. الجزية (٢/ ٤٠٨) ح(٣١٦٣)، مسلم. الزكاة (٢/ ٧٣٣) ح(١٠٥٩)، أحمد (٤/ ٣٥١).

وأمر عند ملاقاة العدو بالصبر[١] ، وأمر بالصبر عند المصيبة ، وأخبر «أنّه[٢] عند الصدمة الأولىٰ»[٣].

وأمر[٤] المصاب بأنفع الأمور له ، وهو الصبر والاحتساب[٥] ، فإن ذلك يخفف مصيبته ، ويوفِّر أجره ، والجزع والتسخط والتشكي يزيد في المصيبة ، ويذهب بالأجر.

[وأخبر[٦] أن الصبر خير كله ، فقال : «**ما أُعطي أحدٌ عطاءً خيراً له وأوسع من الصَّبر**»[٧]][٨].

---

(١) كما في البخاري. الجهاد والسير (٢/ ٣٦٥) ح(٣٠٢٦) ، ومسلم. الجهاد والسير (٣/ ١٣٦٢) ح(١٧٤١) ، وأحمد (٢/ ٥٢٣).

(٢) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (إنما يكون).

(٣) كما في البخاري. الجنائز (١/ ٣٩٥) ح(١٢٨٣) ، ومسلم. الجنائز (٢/ ٦٣٧) ح(٩٢٦) ، وأحمد (٣/ ١٤٣).

(٤) ط (ﷺ).

(٥) لعله يشير إلىٰ حديث أسامة بن زيد في البخاري. الجنائز (١/ ٣٩٦) ح(١٢٨٤) ، ومسلم. الجنائز (٢/ ٦٣٥) ح(٩٢٣) ، وعند الحاكم : « **اصبروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة** » (٣/ ٤٣٢) ، والطبراني في الكبرى (٢٤/ ٣٠٣) ، وفي مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٣) وقال رجاله ثقات.

(٦) ط (ﷺ).

(٧) في الصحيحين وتقدم تخرجه ص١٨٤٢ من قوله ﷺ ... « **ومن يتصبر يصبره الله** » .

(٨) ما بين المعقوفين سقط من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

فصل

تعريف الصبر

و«الصبر» في اللغة: الحبس والكَفّ[1]، ومنه: قُتل فلان صبراً،[2] إذا أُمسك وحُبس، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]، أي احبس نفسك معهم.

فالصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوىٰ، وحبس الجوارح عن التشويش[3].

وهو ثلاثة أنواع: صبر علىٰ طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر علىٰ امتحان الله.

فالأولان: صبر علىٰ ما يتعلق بالكسب، والثالث: صبر[4] علىٰ ما لا كسب للعبد فيه.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز عن[5] شأنها: أكمل من صبره علىٰ إلقاء إخوته

---

(١) لسان العرب ٤/ ٢٣٩١.

(٢) أ، غ، ب (أي).

(٣) لشيخ الإسلام كلام نفيس وتقسيم بديع في الفتاوىٰ ١٠/ ٤٧ - ٦٧٣ - ٦٧٧ ولابن القيم في طريق الهجرتين ٢٩٥ - ٢٩٦.

(٤) (صبر) سقط من د.

(٥) ط (علىٰ).

له في الجب ، وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه ، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها ، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر ، وأما صبره عن المعصية : فصبر و[١]اختيار ورضىٰ ، ومحاربة للنفس ، ولا سيما مع الأسباب التي تقوىٰ معها دواعي[٢] المواقعة[٣] فإنه كان شاباً ، وداعيةُ الشباب إليها قوية ، وعزَباً ليس له ما يعوضه ويبرد[٤] شهوته ، وغريباً ، والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه [٥] بين أصحابه ومعارفه وأهله ، ومملوكاً ، والمملوك أيضاً ليس له وازعه كوازع الحر ، والمرأة جميلة ، وذات منصب ، وهي سيِّدته ، وقد غاب الرقيب ، وهي الداعية له إلىٰ نفسها ، والحريصة علىٰ ذلك أشد الحرص ، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل : بالسجن والصغار ، ومع هذه الدواعي[٦] كلها : صبر اختياراً ، وإيثاراً لما عند الله ، وأين هذا من صبره في الجب علىٰ ما ليس من كسبه؟[٧].

وكان يقول : الصبر علىٰ أداء الطاعات أكمل من الصبر عن[٨] اجتناب

---

(١) (الواو) ساقطة من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(٢) الأصل (داعي) والأقرب ما أثبته من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب لموافقته الفعل الذي قبله (تقوىٰ).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (الموافقة).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (يود).

(٥) ط (من).

(٦) م ، ب (دعاوىٰ) وبهامشها (لعله الدواعي).

(٧) ذكر نحوه شيخ الإسلام في الفتاوىٰ ١٠/ ١٢٣ ، ١٧/ ٣١.

(٨) ط (علىٰ).

المحرمات[١] وأفضل ، فإن مصلحة فعل الطاعة[٢] : أحب إلىٰ الشارع من مصلحة ترك المعصية ، ومفسدة عدم الطاعة : أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية.

وله[٣] في ذلك مصنف[٤] قرره فيه بنحو من عشرين وجهاً ، ليس هذا موضع ذكرها.

والمقصود : الكلام علىٰ «الصبر» وحقيقته ودرجاته ومرتبته[٥].

فصل[٦]

أنواع الصبر

وهو[٧] ثلاثة أنواع : صبر بالله ، وصبر لله ، وصبر مع الله.

---

(١) ذكر ذلك شيخ الإسلام في الفتاوىٰ ١٠/ ٥٧٣ ـ ٥٧٧ ، وانظر نحواً من هذه التقسيمات في إحياء علوم الدين ٤/ ٦٩ ـ ٧٤ ، ولقد بسط الحديث عنها ابن القيم في طريق الهجرتين ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ، وبين الأقوال والمرجحات والتفصيل في ذلك.

(٢) ب (الطاعات).

(٣) ط (رحمه الله).

(٤) المصنَّف الذي ذكر فيه شيخ الإسلام هذه المسائل هو التحفة العراقية في الأعمال القلبية وهي مطبوعة أكثر من مرة من أفضلها ما حققه د/ يحيىٰ الهنيدي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٢١هـ وهي في الفتاوىٰ ١٠/ ٥ ـ ٩٠ ، وأفردت « منىٰ محمد الخراط » رسالة قاعدة أمراض القلوب وعلاجها ، لشيخ الإسلام بتحقيق خاص ، وفيها مباحث مشابهة لما في التحفة العراقية وهي ضمن مجموع الفتاوىٰ ١٠/ ٩١ ـ ١٤٨.

(٥) د (والله الموفق).

(٦) ط (أنواع الصبر).

(٧) م ، أ ، غ ، ب ، ش ، ق (علىٰ).

فالأول الاستعانة[١] به ، ورؤيته أنه هو المُصَبِّر ، وأن صَبر العبد بربه لا بنفسه، كما قال تعالىٰ : ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل :١٢٧] ، يعني إن لم يُصبِّرك هو لم تصبر.

والثاني : الصبر لله ، وهو[٢] أن يكون الباعث[٣] علىٰ الصبر محبة الله، وإرادة وجهه ، والتقرب إليه ، لا إظهار[٤] قوة النفس، والاستحماد[٥] إلىٰ الخلق ، وغير ذلك من الأغراض[٦].

والثالث : الصبر مع الله[٧] ، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه ، ومع أحكامه الدينية ، صابراً نفسه معها ، سائراً بسيرها ، مقيماً بإقامتها ، يتوجه معها أين توجهت ركائبها ، وينزل معها أين استقلّت مضاربها[٨].

---

(١) ط (صبر الاستعانة).

(٢) (الصبر لله وهو) سقط من الأصل ، ش ، والمثبت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ش ، ق ، ط.

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (له).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (لا لإظهار).

(٥) الاستحماد : استحمد إلىٰ الناس بإحسان إليهم استوجب عليهم حمدهم له ، المعجم الوسيط ١/ ١٩٦.

(٦) ط (الأعراض).

(٧) (الصبر مع الله) سقط الأصل ، ش ، والمثبت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، وفي د ، ح٢ ، م (الثالث من الصبر الصبر..).

(٨) مضاربها : جمع مضراب وهو الفسطاط العظيم ومعناه في لسان العرب الحيل في الحروب ١/ ٥٥١ ، ولعل المراد هنا جهاتها ونواحيها.

فهذا معنىٰ كونه صابراً مع الله ، أي قد جعل نفسه وَقْفاً[١] علىٰ أوامره ومحابه، وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها ، وهو صبر الصديقين[٢].

الأقوال المأثورة في فضل الصبر ومعناه

قال الجنيد : المسير[٣] من الدنيا إلىٰ الآخرة سهل هيِّن علىٰ المؤمن ، وهجران الخلق في جنب الله شديد ، والمسير[٤] من النفس إلىٰ الله صعب شديد ، والصبر مع الله أشد[٥].

وسئل عن الصبر؟ فقال : تجرع المرارة من غير تعبُّس[٦].

[٧] وقال ذو النون[٨] : الصبر التباعد من[٩] المخالفات ، والسكون عند تجرع غصص البلية ، وإظهار الغنىٰ مع حلول الفقر بساحات المعيشة[١٠].

وقيل : الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب[١١].

---

(١) (وقفاً) سقطت من د.

(٢) انظر عدة الصابرين في بيان أشق أنواع الصبر ١٥١.

(٣) ب (السير).

(٤) ح٢ ، ب (السير).

(٥) الرسالة القشيرية ٢٨٦.

(٦) الرسالة القشيرية ٢٨٦ ، بلفظ «من غير تعبيس» ، وذكره ابن القيم في عدة الصابرين ٣٤.

(٧) أ ، غ ، ب سقطت (الواو).

(٨) غ ، ب (المصري).

(٩) ب ، ح٢ (عن).

(١٠) الرسالة القشيرية ٢٨٧ ، وذكره ابن القيم في عدة الصابرين ٣٤.

(١١) الرسالة القشيرية ٢٨٧ ، وعزاه لابن عطاء ، ولم أجده في الحكم العطائية ، وذكره ابن القيم في عدة الصابرين ٣٤.

وقيل : هو الفناء في البلوىٰ ، بلا ظُهور[١] شكوىٰ[٢].

وقيل : تعويد النفس الهجوم علىٰ المكاره[٣].

وقيل : المقام مع البلاء بحسن الصحبة ، كالمقام مع العافية[٤].

وقال عمرو بن عثمان[٥] : هو الثبات مع الله ، وتلقي بلاءه بالرحب والسعة.

وقال الخواص : هو الثبات علىٰ أحكام الكتاب والسنة[٦].

وقال يحيىٰ بن معاذ : صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين ، وا عجبي[٧] كيف يصبرون[٨]؟ وأنشد :

والصبر يَجْملُ في المواطن كلِّها إلا عليك فإنه لا يَجْمُلُ[٩]

---

(١) الأصل (بلا ظهور شكوىٰ) ، ط (ولا شكوىٰ) والصحيح ما أثبته من ق.

(٢) الرسالة القشيرية ٢٨٧ ، وذكره ابن القيم في عدة الصابرين ص٣٤ .

(٣) الرسالة القشيرية ٢٨٧ وعزاه لأبي عثمان ، وقال ابن القيم في عدة الصابرين : قال أبو عثمان : «الصبار هو الذي عود نفسه الهجوم علىٰ المكاره» ص٣٤ .

(٤) الرسالة القشيرية ٢٨٧ ، وذكره ابن القيم في عدة الصابرين ٣٤ .

(٥) عمرو بن عثمان المكي ، كان ينتسب إلىٰ الجنيد في الصحبة ، لقي أبا سعيد الخزاز وكان شيخ القوم في وقته ، توفي سنة ٢٩١هـ بمكة / طبقات الشعراني (١/ ٨٩) ، صفة الصفوة (٢/ ٢٨٤) ، حلية الأولياء (١٠/ ٢٩١).

(٦) الرسالة القشيرية ٢٨٧ ، وانظر عدة الصابرين ٣٤.

(٧) ق ، أ ، ب (واعجباً).

(٨) الرسالة القشيرية ٢٨٨ وذكره في إحياء علوم الدين ٤/ ٨٠ ، وذكره ابن القيم في عدة الصابرين عن يحيىٰ بن معاذ الرازي ٧٥.

(٩) بيت الشعر : انظر إحياء علوم الدين ٤/ ٨٠ ، الرسالة القشيرية ٢٨٨ ، عدة الصابرين ٧٥ تحقيق د/ بدير.

وقيل : الصبر هو الاستعانة بالله[١].

وقيل : هو ترك الشكوىٰ[٢].

وقيل :

الصبر مثل اسمه مرٌّ مذاقته[٣] لكنْ عواقبه أحلىٰ من العسل[٤]

وقيل : الصبر أن ترضىٰ بتلف نفسك في رضىٰ من تحبه كما قيل :

سأتلف كي ترضىٰ وأَتْلف حسرة وحسبي أن ترضىٰ ويُتلفني صبري[٥]

وقيل : مراتب الصابرين خمسة : صابر ، ومُصطبر ، ومُتصبِّر ، وصَبور وصَبَّار ، فالصابر : أعمُّها ، والمصطبر : المكتسب الصبر المليء[٦] به ، والمتصبر : متكلف[٧] الصبر[٨] حامل نفسه عليه ، والصبور : العظيم الصبر الذي

---

(١) الرسالة القشيرية (٢٨٨) ، ونسبه إلىٰ ذي النون ، وذكره ابن القيم في عدة الصابرين ٣٤.

(٢) ذكره أبو نعيم بسنده إلىٰ رويم في حلية الأولياء ١٠/ ٣٠١ ، وفي عدة الصابرين عن رويم ٣٤ ونحوه عن حسان بن أبي جبلة ١٥٥ ، قال : « فصبر جميل » لا شكوىٰ فيه.. وفي الدر المنثور أقوال عن عدد من السلف كلها حول هذا المعنىٰ ٤/ ١٧.

(٣) أ ، ب ، غ (مذاقه).

(٤) بيت الشعر : أورد نحوه صاحب جواهر الأدب ٧٠٩ من غير نسبة.

(٥) عزاه القشيري بسنده لابن عطاء ، الرسالة القشيرية (٢٨٨).

(٦) (المليء به) سقط من ش.

(٧) أ ، غ ، ب (المتكلف).

(٨) ط سقط (الصبر).

صبره أشد من غيره ، والصبار : الشديد[١] الصبر ، فهذا في القدر والكمِّ[٢] ، والذي قبله في الوصف[٣] والكيف.

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : « الصبر مطية لا تكبو »[٤].

ووقف[٥] رجل علىٰ الشبلي[٦] ، فقال : أيُّ صبر[٧] أشدّ علىٰ الصابرين؟ فقال: الصبر في الله ، قال السائل : لا ، فقال : الصبر لله ، فقال السائل[٨] لا ، فقال : الصبر[٩] مع الله ، قال[١٠] : لا ، قال[١١] فأيْش هو؟ قال : الصبر عن الله ، فصرخ

---

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط (الكثير).

(٢) (الكم) سقط من أ ، غ ، ب.

(٣) أ ، غ ، ب (والكم).

(٤) الرسالة القشيرية (٢٨٨) ، عدة الصابرين (٩٥).

(٥) ط (وقف).

(٦) الشبلي ، دلف بن جحدر بغدادي المولد ، والنشأة وأصله من (أسروشنة) أو (إشبيلية) صحب الجنيد وكان شيخ وقته ، مالكي المذهب كتب الحديث عن طائفة من أهل العلم ، وتوفي سنة ٣٣٤هـ ، طبقات الصوفية (٣٣٧) ، حلية الأولياء (١٠/ ٣٦٦) ، الرسالة القشيرية (٩٧) ، تاريخ بغداد (١٤/ ٣٨٩) ، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٦٧).

(٧) ش (الصبر).

(٨) (السائل) سقط من ق.

(٩) (الصبر) سقط من الأصل ، والأقرب ما أثبته من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(١٠) ق ، ط (فقال).

(١١) في م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د (الشبلي).

الشبلي صرخة كادت روحه تتلف[١].

وقال الجريري: « الصبر أن لا يفرق بين حال النعمة وحال المحنة[٢]، مع سكون الخاطر فيهما، والتصبُّر: هو السكون مع البلاء، مع وجدان أثقال المحنة »[٣].

قال أبو علي الدقاق: « فاز الصابرون بعِزِّ الدارين، لأنهم نالوا من[٤] الله معيته، فإن الله مع الصابرين »[٥].

وقيل في قوله تعالىٰ: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠] أنه انتقال من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ، فـ «الصبر» دون المصابرة، و«المصابرة» دون «المرابطة»، و «المرابطة» مفاعلة من الربط وهو الشد، وسمي المرابط مرابطاً: لأن المرابطين يربطون خيولهم ينتظرون الفزع، ثم قيل لكل منتظر قد ربط نفسه لطاعة ينتظرها: مرابط[٦]، ومنه قول النبي ﷺ: «ألا أخبركم بما يمحو الله

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٨٠، الرسالة القشيرية٢٨٨، عدة الصابرين ٧٥ تحقيق د/ بدير، وفي قوت القلوب أقوال بمعناه ١/ ٢٣٠، ٢٤٧.

(٢) ط (المحبة).

(٣) ذكره القشيري بسنده إلىٰ الجريري الرسالة القشيرية (٢٨٨)، وهو في عدة الصابرين (٣٤) عن أبي محمد الجريري.

(٤) الأصل (مع) والأقرب ما أثبته من أ، غ، ب، ق.

(٥) الرسالة القشيرية ٢٨٨، وذكره في عدة الصابرين ٤٧ ـ ٧٢.

(٦) انظر مزيداً من الشرح والبيان في عدة الصابرين ٤٠ تحقيق د/ بدير.

به الخطايا ، ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء[١] علىٰ المكاره ، وكثرة الخُطىٰ إلىٰ المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط»[٢].

[٣] وقيل : « اصبروا بنفوسكم علىٰ طاعة الله ، وصابروا بقلوبكم علىٰ البلوىٰ في الله ، ورابطوا بأسراركم علىٰ الشوق إلىٰ الله » .

وقيل : اصبروا في الله وصابروا بالله ، ورابطوا مع الله » .

[وقيل : «اصبروا علىٰ النعماء ، وصابروا علىٰ البأساء والضراء ، ورابطوا في دار الأعداء ، واتقوا إله الأرض والسماء][٤]، لعلكم تفلحون في دار البقاء». «فالصبر» مع نفسك ، و«المصابرة» بينك وبين عدوك ، و«المرابطة» الثبات وإعداد العدة ، وكما أنّ الرباط لزوم الثغر لئلا يهجم منه العدو ، فكذلك المرابطة[٥] أيضاً لزوم ثغر القلب ، لئلا يهجم عليه الشيطان ، فيملكه أو يُخربه

---

(١) (الوضوء) سقط من د.

(٢) مسلم. الطهارة (١/ ٢١٩) ح(٢٥١) ، الترمذي. الطهارة (١/ ٧٢) ح(٥١) ، ابن ماجه. الطهارة (١/ ١٨٤) ح(٤٢٧) ، صحيح الترغيب (١/ ٨٣) ح(١٨٧).

(٣) في د ، ش ، ق (وقال : « رباط يوم في سبيل الله : خير من الدنيا وما فيها ») قلت : أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٢/ ٣٢٩) ح(٢٨٩٢) ، مسلم . الإمارة (٣/ ١٥٠٠) ح(١٨٨١) ، الترمذي (٤/ ١٨٠) ح(١٦٤٨).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من الأصل ، ش ، والأقرب ما أثبته من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، لموافقته آخر العبارة الموجودة في الأصل وهي (لعلكم تفلحون في دار البقاء).

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (الرباط).

أو يُشعثه [١].

وقيل : « تَجَرَّع الصبر، فإن قتلك قتلك شهيداً، وإن أحياك أحياك عزيزاً» .

وقيل : « الصبر لله غناء[٢] ، وبالله[٣] بقاء ، وفي الله بلاء ، ومع الله وفاء ، وعن الله جفاء ، والصبر علىٰ الطلب عنوان الظفر ، وفي المحن عنوان الفرج » .

وقيل : « حال العبد مع الله رباطه ، وما دون الله أعداؤه » .

وفي كتاب الأدب للبخاري : سُئل رسول الله ﷺ عن الإيمان؟ فقال : «**الصَّبر والسَّماحة**»[٤] ، ذكره عن موسىٰ بن إسماعيل ، قال : حدثنا سويد

---

(١) يُشعثه : من شعث الأمر إذا انتشر ، مختار الصحاح (٣٣٩) ، ويعني هنا تفرق الهم في أودية الشهوات.

(٢) أ ، ب ، غ ، م (فناء الصبر مع الله غنا)

(٣) ط (تعالىٰ).

(٤) حديث عمرو بن عبسة أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٨٥) ، وعبد بن حميد في المنتخب (٣٠٠) ، وابن ماجه مختصراً جداً رقم(٢٧٩٤) بدون لفظ « الصبر والسماحة » ، وذلك من رواية محمد بن ذكوان الصاحي الجهضمي عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عبسة وفيه ثلاث علل :

الأولىٰ : شهر بن حوشب ضعيف كما في تهذيب الكمال ١٢/ ٥٧٨.

الثانية : شهر لم يسمع من عمرو بن عبسة كما في المراسيل لابن أبي حاتم (ص٨٩).

الثالثة : محمد بن ذكوان ضعيف انظر تهذيب الكمال (٢٥/ ١٨٠) ، مصباح الزجاجة للبوصيري (٢/ ٤٠٣)

وروىٰ الحديث من طريق علي الأزدي عن عبيد بن عمير عن عبدالله بن حبشي ، وليس فيه (الصبر والسماحة) ، أخرجه أحمد (٣/ ٤١٢) ، وسنده قوي إلا أنه اختلف علىٰ عبيد بن

قال :[١] حدثنا عبدالله بن عمير عن أبيه عن جده - فذكره.

وهذا من أجمع الكلام ، وأعظمه برهاناً ، وأوعبه[٢] لمقامات الإيمان من أولها إلىٰ آخرها.

فإن النفس يُراد منها شيئان : بذل ما أُمرت به ، وإعطاؤه ، فالحامل عليه : السماحة ، وترك ما نُهيت عنه ، والبعد منه ، فالحامل عليه الصبر.

وقد أمر الله سبحانه[٣] في كتابه بالصبر الجميل ،[٤] الذي لا شكوىٰ فيه ولا معه ، و«الصفح الجميل» هو الذي لا عتاب معه ، و«الهجر الجميل»[٥] الذي لا

عمير فقد روي أيضاً عنه عن أبيه مرسلاً وروىٰ موصولاً وقد أخرج هذه الروايات البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٢٥) وذكر الاختلاف في سنده ابن أبي حاتم كما في العلل (٢/ ١٤٩) وذكر عن أبيه ترجيح المرسل ، وما حصل من عمرو بن عبسة والرسول ﷺ من أسئلة لها طرق وألفاظ كثيرة أصح أسانيدها وألفاظها ما رواه مسلم برقم (٨٣٢) ، ورواه أحمد بطرق وألفاظ أُخر لا تخلو من ضعف (٤/ ١١٢ ، ١١٤) ، وذكر له الألباني شواهد ومتابعات حسنّه لها ورجح المرسل من حديث عبيد بن عمير عن أبيه ، الصحيحة (٣/ ٤٧٨ ـ ٤٨٣) ، وفي تهذيب الكمال (٦/ ١٢١) وحلية الأولياء (٢/ ١٥٦) جعلاه من كلام الحسن البصري ، والله أعلم.

(١) (قال حدثنا) سقط من ش.

(٢) أ ، ب ، غ (وأوعية).

(٣) ط (وتعالىٰ).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ط ، د ، ق (والصفح الجميل والهجر الجميل ، فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول : الصبر الجميل هو) ، ب سقط (والهجر الجميل).

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ط (هو).

أذىٰ معه.

وفي أثر اسرائيلي : «أوحىٰ الله إلىٰ نبي من أنبيائه : أنزلت بعبدي بلائي ، فدعاني ، فماطلته بالإجابة ، فشكاني ، فقلت : عبدي ، كيف أرحمك من شيء به أرحمك؟»[١].

[وقال ابن عيينة في[٢] قوله[٣] : ﴿وَجَعَلْنَا[٤] مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة : ٢٤] قال : «أخذوا برأس الأمر فجعلهم رؤساء»[٥].

وقيل : صبر العابدين ، أحسنه : أن يكون محفوظاً ، وصبر المحبين ، أحسنه : أن يكون مرفوضاً كما قيل :][٦]

تبيَّن يومَ البَيْن أنّ اعتزامَه

علىٰ[٧] الصبر من إحدىٰ الظُّنون[٨] الكواذب[٩]

---

(١) لم أجده.

(٢) (في) سقطت من أ ، ب ، غ ، م.

(٣) ط (تعالىٰ).

(٤) الأصل (وجعلناهم) والمصحَّح من القرآن.

(٥) ابن كثير (٣/ ٥٧٢) ، الرسالة القشيرية (٢٩١) ، عدة الصابرين (١٥٤) تحقيق د/ بدير.

(٦) ما بين المعقوفين طمس من أ.

(٧) الأصل (محل) والصحيح ما أثبته من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط.

(٨) ب (العزوم).

(٩) الرسالة القشيرية (٢٩٢) ، عدة الصابرين (٨٤) تحقيق د/ بدير.

والشكوىٰ إلىٰ الله عزّ وجل لا تنافي الصبر، فإن يعقوب - عليه السلام - وعد بالصبر الجميل، والنّبي إذا وعد لا يُخلف، ثم قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] وكذلك أيوب أخبر الله أنه وجده صابراً مع قوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وإنما ينافي الصبر شكوىٰ الله، لا الشكوىٰ إليه[1]، كما رأىٰ بعضهم رجلاً يشكو إلىٰ آخر فاقةً وضرورة، فقال: يا هذا، تشكو من يرحمك إلىٰ من لا يرحمك؟ ثمّ أنشد:

وإذا عرَتْك بليَّة فاصبر لها ... صبر الكريم فإنه بك أعلمُ

وإذا شكوتَ إلىٰ ابنِ آدم إنما ... تشكو الرحيمَ إلىٰ الذي لا يرحمُ[2]

* * *

(١) ط (إلىٰ الله).

(٢) البيت الثاني ذكره ابن القيم في الفوائد (الجاهل يشكو إلىٰ الناس.. ص٨٧)، ونسبه صاحب كتاب لآلئ الشعر ٢٤٨ إلىٰ علي بن أبي طالب نقلاً عن كتاب الكامل وكتاب الأمثال والحكم ونص البيت:

لا تشكو إلىٰ العباد وإنما ... تشكو الرحيم إلىٰ الذي لا يرحم

وذكره ابن القيم في طريق الهجرتين ٨٣.

فصل[1]

قال : صاحب «المنازل» :

من معاني الصبر

«الصَّبْرُ : حَبْسُ النَّفسِ عَلىٰ المَكْرُوهِ ، وَعقْلُ اللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَىٰ ، وَهُوَ مِن أَصْعبِ المَنَازِلِ عَلىٰ العَامَّةِ ، وَأَوحَشُهَا فِي طَرِيقِ المحَبَّةِ ، وَأَنكَرُهَا فِي طُرُقِ التَّوحِيدِ»[2].

[3]إنما كان صعباً علىٰ العامة : لأنّ العامي مبتدئ في الطريق ، وما له دُرْبَة[4] بالسلوك[5] ، ولا تهذيب المرتاض[6] بقطع المنازل ، فإذا[7] أصابته المحن[8] أدركه الجزع ، وصعب عليه احتمال البلاء ، وعَزّ عليه وجدان الصبر؛ لأنه ليس من أهل الرياضة ، فيكون مستوطناً للصبر ، ولا من أهل المحبة ، فيلتذ

---

(١) (فصل) طمس من أ.

(٢) في المنازل [حبس النفس علىٰ جزع كامن عن الشكوىٰ ، وهو أيضاً من أصعب..] ٣٨.

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (وإنما).

(٤) م (دراية).

(٥) ط (في السلوك).

(٦) المرتاض : ذكر في لسان العرب معانٍ متعددة يجمعها الاستيطان للشيء وفي آخره قال : إن الريِّض من الدواب ضد الذلول وهو من التفاؤل ، وذللها علمها السير يُقال يروضها روضاً ورياضة واستراض المكان : فسح ، انظر لسان العرب ٧/ ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٧) ق (فإن).

(٨) (المحن) سقط من ش.

بالبلاء في رضىٰ محبوبه.

وأما وحشته[١] في طريق المحبة : فلأنها تقتضي التذاذ المحب بامتحان محبوبه له ، والصبر يقتضي[٢] كراهيته لذلك ، وحبس نفسه عليه كرهاً ، فهو وحشة في طريق المحبة.

وفي الوحشة نكتة لطيفة؛ لأن الالتذاذ بالمحنة في المحبة هو من موجبات أنس القلب بالمحبوب ، فإذا أحسَّ بالألم - بحيث يحتاج إلىٰ الصبر - انتقل من الأنس إلىٰ الوحشية ، ولولا الوحشة لما أحسَّ بالألم المستدعي للصبر.

وإنما أنكرها في طريق التوحيد : لأن فيه قوة الدعوىٰ؛ لأن الصابر يدَّعي بحالة قوة الثبات[٣] ، وذلك ادِّعاء[٤] منه لنفسه قوة عظيمة ، وهذا مصادمة لتجريد التوحيد ، إذ ليس لأحد قوة البتة؛بل لله القوة جميعاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله[٥].

فهذا سبب كون الصبر منكراً في طريق التوحيد؛ بل من أنكر المنكر - كما قال - لأن التوحيد يرد الأشياء إلىٰ الله ، والصبر يرد الأشياء إلىٰ النفس ، وإثبات النفس في التوحيد منكر.

---

(١) د ، ط (كونه وحشة).

(٢) ق (تقتضي).

(٣) ق (الشباب).

(٤) ط (ادعاءه).

(٥) أ ، ب ، غ (العلي العظيم).

هذا حاصل كلامه محرَّراً مقرَّراً، وهو من مُنْكر كلامه [١].

بل الصبر من آكد المنازل في طريق المحبة، وألزمها للمحبين، وهم أحوجُ إلىٰ منزلته [من كل منزلة][٢] وهو من أعرف المنازل في طريق التوحيد وأبْيَنِها.

وحاجة المحب إليه ضرورية.

فإن قيل: كيف تكون حاجة المحب إليه ضرورية، مع منافاته لكمال المحبة، فإنه[٣] لا يكون إلا مع منازعات النفس لمراد المحبوب؟.

قيل: هذه هي النكتة التي لأجلها كان من آكد المنازل في طريق المحبة وأعلقها بها، وبه يعلم صحيح المحبة من معلولها وصادقها من كاذبها، فإن بقوة الصبر علىٰ المكاره في مراد المحبوب يعلم صحة محبته.

ومن هاهنا كانت محبة أكثر الناس كاذبة؛ لأنهم كلهم ادعوا محبة الله تعالىٰ، فحين امتحنهم بالمكاره انخلعوا[٤] عن حقيقة المحبة، ولم يثبت معه إلا الصابرون، فلولا تحمل المشاق، وتجشم المكاره بالصبر: لما ثبت[٥] صحة محبتهم[٦]،

---

(١) من مخالفات ابن القيم للهروي.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من ق.

(٣) غ (فلأنه).

(٤) انخلعوا: من خلع الشيء يخلعه خلعاً، كنزعه وطرحه، يقال خلع من الدين والحياء، وقوم خلعاء بيِّنُوا الخلاعة، لسان العرب ٨/ ٧٧.

(٥) م، أ، غ، ح٢، ب، د (ثبتت).

(٦) م، أ (صحبتهم).

و[1]تبين بذلك أن أعظمهم محبة أشدهم صبراً.

ولهذا وصف الله تعالىٰ بالصبر خاصة أحبائه وأوليائه[2] فقال عن حبيبه أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾، ثمّ أثنىٰ عليه، فقال: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

وأمر أحب الخلق إليه بالصبر لحكمه، وأخبر[3] أن صبره به، وأثنىٰ علىٰ الصابرين أحسن الثناء، وضمن لهم أعظم الجزاء، وجعل أجر غيرهم محسوباً، وأجرهم بغير حساب، وقرن الصبر بمقامات الإسلام، والإيمان، والإحسان - كما تقدم - فجعله قرين التوكل واليقين[4]، والإيمان، والأعمال، والتقوىٰ.

وأخبر أن آياته إنما ينتفع بها أولو[5] الصبر، وأخبر أن الصبر خير لأهله، وأن الملائكة تسلم عليهم في الجنة بصبرهم، كما تقدم ذلك.

وليس في استكراه النفوس لألم ما لم تصبر عليه، وإحساسها به، ما يقدح في محبتها ولا توحيدها، فإن إحساسها بالألم، ونفرتها منه: أمر طبعي[6] لها،

---

(١) ط (قد).

(٢) ط (أوليائه وأحبائه).

(٣) أ، ب (وأخبره).

(٤) ق، ط (اليقين والتوكل).

(٥) الأصل، ش، د، م (لا ينتفع بها ألا الصبر) والصحيح ما أثبته من أ، ب، غ، ق، ط.

(٦) أ، غ، ب، د، ش، ق (طبيعي).

كاقتضائها للغذاء من الطعام والشراب ، وتألمها بفقده ، فلَوَازم النفس لا سبيل إلىٰ إعدامها وتعطيلها بالكلية وإلا لم تكن نفساً[١] إنسانية وارتفعت[٢] المحبة[٣] وكانت عالماً آخر.

و«الصبر» و «المحبة» لا يتناقضان؛ بل يتواخيان ويتصاحبان[٤] ، والمحب صبور بلىٰ[٥] علة الصبر في الحقيقة : المناقضة للمحبة ، المزاحمة للتوحيد أن يكون الباعث عليه غير إرادة رضىٰ المحبوب؛ بل إرادة غيره ، أو مزاحمته بإرادة غيره ، أو المراد منه ، لا مراده ، هذه هي وحشة الصبر ونكارته.

وأما من رأىٰ صبره لله ، وصبر بالله[٦] ، وصَبره مع الله ، مشاهداً أن صبره به تعالىٰ لا بنفسه ، فهذا لا يلحق[٧] محبتَه وحشةٌ ، ولا توحيدَه نكارةٌ.

ثم لو استقام له هذا لكان في نوع واحد من أنواع الصبر ، وهو الصبر علىٰ المكاره.

فأما الصبر علىٰ الطاعات - وهو حبس النفس عليها - ، وعن المخالفات

---

(١) م ، ح٢ (نفسانية) و (نفساً) سقطت من أ ، غ ، ب.

(٢) ط (ولا ارتفعت).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ط (المحنة).

(٤) (يتصاحبان) سقط من ق.

(٥) ش (بل).

(٦) ق (صبره بالله وصبر لله) ، وفي أ ، غ ، ح٢ ، ب (وصبر به) وفي م (وصبره به).

(٧) ط (تلحق).

- وهو منع النفس منها طوعاً واختياراً والتذاذاً - فأي وحشة في هذا؟ وأي نكارة فيه؟.

فإن قيل : إذا كان يفعل ذلك طوعاً ومحبة ، ورضىٰ وإيثاراً : لم يكن الحامل له علىٰ ذلك الصبر ، فيكون صبره في هذه[1] الحال ملزوم الوحشة والنكارة ، لمنافاتها لحال المحب.

قيل : لا منافاة في ذلك بوجه ، فإن[2] صبره حينئذ قد اندرج في رضاه ، وانطوىٰ فيه[3] ، وصار الحكم للرضىٰ ، لا أن الصبر عُدم؛ بل لقوة وارد الرضىٰ والحب[4]، وإيثار مراد المحبوب ، صار المشهد والمنزل للرضىٰ بحكم الحال، والصبر جزء منه ومنطوٍ فيه ، ونحن لا ننكر هذا القدر ، فإن كان هو المراد ، فحبذا[5] الوفاق ، وليس المقصود القيل والقال ، ومنازعات الجدال.

وإن كان غيره : فقد عرف ما فيه [6].

* * *

(١) ق (هذا).

(٢) ش (لأن).

(٣) (فيه) سقط من غ.

(٤) ق (المحب).

(٥) م ، أ ، غ (فحينئذ).

(٦) ق (والله أعلم) ، ط (والله سبحانه وتعالىٰ أعلم).

فصـــل

درجات الصبر الدرجة الأولى

قال : «وَهُوَ عَلىٰ ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ ، الدَّرَجَةُ الأُولىٰ : الصَّبرُ عَن المعصِيَةِ ، بِمُطَالَعَةِ الوَعِيدِ : إِبقَاءً عَلىٰ الإِيمَانِ ، وَحَذَراً مِن الحرَامِ[1] ، وَأَحسَنُ مِنهَا : الصَّبرُ عَن المعصِيةِ حَيَاءً»[2].

ذكر للصبر عن المعصية سببين وفائدتين :

أما السببان : فالخوف من لحوق الوعيد المترتب[3] عليها.

والثاني «الحَياء» من الرب تبارك وتعالىٰ أن[4] يُستعان علىٰ مَعاصيه بِنِعَمه ، وأن يُبارز[5] بالعظائم.

وأما الفائدتان : فالإبقاء علىٰ الإيمان ، والحذر[6] من الحرام.

فأما مطالعة الوعيد ، والخوف منه : فيبعث عليه قوة الإيمان بالخبر ، والتصديق بمضمونه.

وأما الحياء : فيبعث عليه قوة المعرفة ، ومشاهدة معاني الأسماء والصفات.

---

(١) في منازل السائرين (الجزاء) (ص٣٨).

(٢) منازل السائرين (٣٨).

(٣) أ ، ب ، غ (المرتب).

(٤) (أن) سقط من ق.

(٥) ق (وأن يبارزه).

(٦) ق (الخدر).

وأحسن من ذلك : أن يكون الباعث عليه وازع الحب ، فيترك معصيته محبة له ، كحال الصُهيْبيين[١].

وأما الفائدتان : فالإبقاء علىٰ الإيمان : يبعث علىٰ ترك المعصية؛ لأنها لا بدّ أن تنقصه ، أو تذهب به ، أو تذهب رونقه[٢] وبهجته[٣] ، أو تطفئ نوره ، أو تضعف قوته، أو تنقص ثمرته، و[٤]هذا أمر ضروري بين المعصية وبين الإيمان، يُعلم بالوجود والخبر والعقل كما صحَّ عنه ﷺ : «**لا يزني الزّاني حين يزني**

---

(١) في هذا إشارة إلىٰ ما ورد : «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه».
أورده السيوطي في تدريب الراوي (٢/ ١٧٥) من الأحاديث المشتهرة علىٰ ألسنة النحاة ، وقال : قال العراقي وغيره : لا أصل له ولا يوجد بهذا اللفظ في شيء من كتب الحديث وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (ص٤٤٩) وقال : ذكر البهاء السبكي أنه لم يظفر به في شيء من الكتب ، قال : ثم رأيت بخط شيخنا أنه ظفر به في مشكل الحديث لابن قتيبة لكن لم يذكر إسناداً.
وقد روي عن عمر مرفوعاً نحوه لكنه في سالم مولىٰ أبي حذيفة : «لو كان لا يخاف الله عزّ وجل ما عصاه» ، حلية الأولياء (١/ ١٧٧) ، وضعفه السخاوي في المقاصد (٤٤٩) ، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٤٢٨) رقم (٢٨٣١) ، وقال علي بن سلطان القاري في المصنوع (٢٠٢) لا أصل له كما صرح به الحفاظ وكذلك الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/ ٥٦ ، ٥٧) قال لا أصل له ، وكذلك الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٢/ ٤٥٠ ـ ٤٥١).

(٢) رونقه : الرونق رونق السيف ، ماؤه وصفاؤه وحسنه ، ورونق الشباب أوله وطراوته ، المعجم الوسيط (١/ ٣٧٦)

(٣) بهجته : البهجة الحسن والنظارة ، لسان العرب ٢/ ٢١٦.

(٤) (الواو) ساقطة من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ق.

وهو مؤمن ، ولا يشربُ الخمرة حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نُهبةً ذات شرف - يرفع إليه الناس فيها أبصارهم حين ينتهبها - وهو مؤمن فإياكم إياكم ، والتوبة معْروضَة بَعد»[1].

وأما الحذر عن[2] الحرام : فهو الصبر عن كثير من المباح ، حذراً من أن يسوقه إلىٰ الحرام.

ولما كان «الحياء» من[3] شيم الأشراف ، وأهل الكرم والنفوس الزكية : كان صاحبه أحسن حالاً من أهل الخوف.

و[4]لأن في الحياء من الله ما يدل علىٰ مراقبته وحضور القلب معه.

ولأن فيه من تعظيمه وإجلاله ما ليس في وازع الخوف.

فمن وازعه الخوف : قلبه حاضر مع العقوبة ، ومن وازعه الحياء : قلبه حاضر مع الله ، والخائف[5] مراع جانب نفسه وحمايتها ، والمستحي مراع جانب ربه ، وملاحظ[6] عظمته.

---

(١) أخرجه البخاري في المظالم (٢/ ٢٠١) ح(٢٤٧٥) ، مسلم. الإيمان (١/ ٧٦) ح(٥٧) ، أحمد (٢/ ٣٧٦).

(٢) ش (من).

(٣) م ، ح٢ (هو) ، أ ، غ ، ب (الحياء شيم).

(٤) (الواو) سقطت من ق ، غ ، ب.

(٥) ق (الخايف).

(٦) د ، ش ، ح٢ (ملاحظة).

وكلا[١] المقامين من مقامات أهل الإيمان.

غير أن الحياء أقرب إلىٰ مقام الإحسان، وألصق به فإنه إذا نزل[٢] نفسه منزلة من كأنه يرىٰ الله، فنبعت[٣] ينابيع الحياء من عين قلبه وتفجرت عيونها.

الدرجة الثانية

قال: «**الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: الصَّبرُ عَلىٰ الطَّاعةِ، بِالمحُافَظَةِ عَلَيهَا دَوَاماً، وَبِرِعَايَتِهَا إخْلاصاً، وَبِتَحسِينِهَا عِلْماً**»[٤].

هذا يدل علىٰ أنَّ عنده: أنّ فعل الطاعة آكد من ترك المعصية، فيكون الصبر عليها فوق الصبر علىٰ[٥] ترك المعصية في الدرجة.

وهذا هو الصواب - كما تقدم - فإن ترك المعصية إنما كان لتكميل الطاعة، والنهي مقصود للأمر، فالمنهي عنه لما كان يُضعف المأمور به ويَنْقُصه[٦]: نهىٰ عنه حماية، وصيانة لجانب[٧] الأمر، فجانب الأمر أقوىٰ وآكد، وهو بمنزلة الصحة [والحياة، والنهي بمنزلة الحِمية التي تراد لحفظ الصحة][٨] و[٩]أسباب

---

(١) أ، ب، غ (وكل).

(٢) ب، أ (إذا أنزل).

(٣) أ، ب، غ (ينبعث).

(٤) منازل السائرين ٣٨.

(٥) م، أ، غ، ح٢، ب (عن).

(٦) ش، د، ق (ويهجنه).

(٧) (لجانب الأمر) سقط من م، أ، غ، ح٢، ب.

(٨) ما بين المعقوفين سقط من أ، غ، ب.

(٩) أ، ب، غ (في) بدل (الواو).

الحياة.

وذكر الشيخ : أن الصبر في هذه الدرجة بثلاثة أشياء : دوام الطاعة ، والإخلاص فيها ، ووقوعها علىٰ مقتضىٰ العلم ، وهو تحسينها علماً[١].

فإن الطاعة تتخلف من فوات واحد من هذه الثلاثة ، فإنه[٢] إن لم يحافظ عليها دواماً عطلها ، وإن حافظ عليها[٣] دواماً عرض لها[٤] آفتان:

إحداهما[٥] : ترك الإخلاص فيها ، بأن يكون الباعث عليها غير وجه الله ، وإرادته والتقرب إليه ، فحفظها من هذه الآفة[٦] برعاية الإخلاص.

الثانية : ألا تكون مطابقة للعلم[٧] ، بحيث لا تكون علىٰ اتباع السنة ، فحفظها من هذه الآفة : بتجريد المتابعة ، كما أن حفظها من تلك الآفة[٨] بتجريد القصد والإرادة فلذلك قال :«**بِالمُحَافَظَةِ عَلَيهَا دَوَاماً ، وَرِعَايَتِهَا إِخْلاَصاً ، وَتَحْسِينِهَا عِلْماً**[٩]».

---

(١) م ، ح٢ (عملاً).

(٢) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط (فإن العبد).

(٣) ط (عليه).

(٤) ب (له).

(٥) ق (أحدهما).

(٦) ط (الآية).

(٧) (للعلم) سقط من ش.

(٨) (الآفة) سقط من ق.

(٩) م ، ح٢ (عملاً).

فصـــل

الدرجة الثالثة

قال : « الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ : الصَّبرُ فِي البَلَاءِ ، بِمُلاحَظَةِ حُسْنِ الجَزَاءِ ، وَانتِظَارِ رَوحِ الفَرَجِ ، وَتَهْوِينِ البَلِيَّةِ بِعَدِّ أَيَادِي المِنَنِ ، وَتذَكُّرِ[1] سَوَالِفِ النِّعَمِ »[2].

هذه ثلاثة أشياء ، تبعث[3] علىٰ الصبر في البلاء.

إحداها[4] : ملاحظة حسن الجزاء وعلىٰ حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته يخف حمل البلاء لشهود العوض ، وهذا كما يخف علىٰ كل متحمل مشقة عظيمة حملها ، لما يُلاحظ من لذة عاقبتها وظفرِه بها ، ولولا ذلك لتعطّلت مصالحُ الدنيا والآخرة ، وما أقْدَمَ أحدٌ علىٰ تحمّل مشقةٍ عاجلة إلا لثمرةٍ مؤجلة ، فالنفس موكلة[5] بحب العاجل ، وإنما خاصة العقل : تلمح العواقب ، ومطالعة[6] الغايات.

وأجمع العقلاء من كل[7] أمة علىٰ أن النعيم لا يدرك بالنعيم ، وأن من رافق

---

(١) ب ، ط (بذكر) وسقطت من د .

(٢) منازل السائرين (٣٩).

(٣) د ، هامش ق (المتلبس بها).

(٤) ق (أحدها).

(٥) ش (مولعة).

(٦) ب ، غ (مطالعات).

(٧) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (عقلاء كل أمة).

الراحة فارق الراحة [١] وأن قدر [٢] التعب تكون الراحة.

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكريم [٣] الكرائمُ

[٤] ويكبر في عين الصغير صغارُها [٥] وتصغُر في عين العظيم العظائمُ [٦]

والقصد : أن ملاحظة حسن العاقبة تعين على الصبر فيما تتحمله باختيارك وغير اختيارك.

والثاني : «انتِظَارُ رَوحِ الفَرَجِ».

يعني راحته ونسيمه ولذته ، فإن انتظاره ومطالعته وترقبه يخفف حمل المشقة ، ولا سيما عند قوة الرجاء و [٧] القطع بالفرج ، فإنه يجد في حشو [٨] البلاء من روح الفرج ونسيمه وراحته : ما هو من خفي الألطاف [٩] ، وما هو

---

(١) د ، ق (وحصل على المشقة وقت الراحة في دار الراحة).

(٢) كذا في الجميع ولعل الأقرب : «وأن على قدر التعب..» وهو المثبت في طبعة المنار وطبعة بشير عيون ٢/ ١٧٥.

(٣) في ديوان المتنبي (الكرام).

(٤) في ديوان المتنبي (وتعظم).

(٥) الأصل (صغيرها) والصحيح ما أثبته من الديوان ، ش ، ح٢.

(٦) القائل هو المتنبي/ شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ٢/ ٩٤ من الجزء الرابع.

(٧) ط ، ح٢ (أو).

(٨) حشو البلاء : لم أجد في اللسان ما يدل على استعمالها هنا ، انظر لسان العرب ١٤/ ١٧٨ - ١٨٣ ، المعجم الوسيط ٢/ ١٧٦ - ١٧٧.

(٩) الألطاف : لطف الشيء : رقَّ ، ضد كثف ، واللطف : الرفق ، وما أكثر تحفه وإلطافه : أي أهدى ، المعجم الوسيط ٢/ ٨٢٦.

فرج معجل ، وبه - وبغيره - يفهم معنىٰ اسمه «اللطيف[١]».

والثالث : «تَهْوِينُ البَلِيَّةِ» بأمرين.

أحدهما : أن يعدَّ نعم الله عليه وأياديه عنده ، فإذا[٢] عجز عن عدها ، وأيس من حصرها ، هان عليه ما هو فيه من البلاء ورآه - بالنسبة إلىٰ أيادي الله ونعمه - كقطرة من[٣] بحر.

والثاني : تذكر[٤] سوالف النعم التي أنعم الله بها عليه ، فهذا يتعلق بالماضي، وتعداد أيادي المنن : يتعلق[٥] بالحال ، وملاحظة حسن[٦] الجزاء ، وانتظار روح الفرج : يتعلق بالمستقبل ، وأحدهما في الدنيا ، والثاني يوم الجزاء. ويحكىٰ عن امرأة من العباد[٧] أنها عثرت ، فانقطعت إصبعها ، فضحكت ،

---

(١) معنىٰ اللطيف : أنه هو الذي يسري لطفه الخفي في رفق ورأفة في جميع مخلوقاته من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون ، والله عزّ وجل.. لطيف عن أن تدركه الأبصار، ومن لطفِه : لطفُه بالأجنة في بطون الأمهات ، واللطف لا يكون إلا عن علم وقوة وعزة ، وحظ الإنسان من ذلك ، أن يتخلق بالرفق واللين بالعباد. انظر. ولله الأسماء الحسنىٰ ٨٨ ، المقصد الأسنىٰ ٧٤ ، تفسير أسماء الله الحسنىٰ ٤٤ ، اشتقاق أسماء الله ١٣٨.

(٢) ق (وإذا).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (في).

(٤) ق (يذكر).

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د (تتعلق).

(٦) (حسن) سقط من ش.

(٧) م ، غ ، ح٢ ، ق ، ب ، د (العابدات) ، أ ، ب في المتن (المتعبدات) وفي الهامش (العابدات).

فقال لها بعض من معها : أتضحكين ، وقد انقطعت إصبعك؟ فقالت : أخاطبك علىٰ قدر عقلك ، حلاوة أجرها أنستني مرارة ذكرها[١] ، إشارة إلىٰ أن عقله لا يحتمل[٢] ما فوق هذا المقام ، من ملاحظة المبتلي ، ومشاهدة حسن اختياره لها في ذلك البلاء ، وتلذذها بالشكر له ، والرضىٰ عنه ، ومقابلة ما جاء من قبله بالحمد والشكر ، كما قيل :

لئن ساءني أن نلتني بمساءةٍ فقد[٣] سرَّني أني خطرت ببالكا[٤]

فصل[٥]

قال : «وَأَضْعَفُ الصَّبرِ : الصَّبرُ لله ، وَهُوَ صَبرُ العَامَّةِ ، وَفَوقُهُ الصَّبرُ بالله ، وَهُوَ صَبرُ المرُيدِينَ[٦] ، وَفَوقُهُ الصَّبرُ عَلىٰ الله ، وَهُوَ صَبرُ السَّالِكِينَ»[٧].

معنىٰ كلامه : أن صبر العامة لله ، أي رجاء ثوابه ، وخوف عقابه ، وصبر المريدين بالله : أي بقوته ومعونته، فهم لا يرون لأنفسهم صبراً، ولا قوة[٨]

---

(١) هذه القصة عزاها الغزالي لامرأة فتح الموصلي. إحياء علوم الدين ٤/ ٧٣.

(٢) هامش ب (لعله لا يحتمل).

(٣) في م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د (لقد).

(٤) بيت الشعر : قائله عبدالصمد بن المعذل : في ديوانه ١٥٢.

(٥) (فصل) طمس في أ ، ق.

(٦) المنازل (المريد).

(٧) منازل السائرين ٣٩.

(٨) ط (لهم).

عليه؛ بل حاملهم التحقق[١] بـ«لا حول ولا قوة إلا بالله» علماً ومعرفة وحالاً.

وفوقهما الصبر علىٰ الله، أي علىٰ أحكامه، إذ صاحبه يشهد المتصرف فيه، فهو يصبر علىٰ أحكامه الجارية عليه، جالبة عليه ما جلبت من محبوب ومكروه، فهذه درجة صبر السالكين.

وهؤلاء الثلاثة عنده من العوام، إذ هو في مقام الصبر، وقد ذكر أنه للعامة، وأنه من أضعف منازلهم.

هذا تقرير كلامه.

والصواب: أن الصبر لله فوق الصبر بالله، وأعلىٰ درجة[٢] وأجل، فإن الصبر لله متعلق بالإلهية[٣]، والصبر به: متعلق بربوبيته، وما تعلق بإلهيته[٤] أكْمل وأعلىٰ مما تعلق بربوبيته.

ولأن الصبر له عبادة، والصبر به استعانة، والعبادة غاية، والاستعانة وسيلة، والغاية مرادة لنفسها، والوسيلة مرادة لغيرها.

ولأن الصبر به مُشترك بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فكل من شهد الحقيقة الكونية صبر به[٥].

---

(١) ق، ش (التحقيق).

(٢) ط (منه).

(٣) ق، ط (بإلهيته).

(٤) أ، ب (بالإلهية).

(٥) الحقيقة الكونية والدينية تقدم الحديث عنهما ص١٧١٨، وانظر الفتاوىٰ ١٠/ ١٦٤ - ٦٦٧ -

وأما الصبر له : فمنزلة الرسل والأنبياء والصدِّيقين ،[1] أصحاب مشهد : «إياك نعبد وإياك نستعين».

ولأن الصبر له : صبر فيما هو حق له ، محبوب له مَرضي[2] له ، والصبر به : قد يكون في ذلك وقد يكون فيما هو مسخوط له ، وقد يكون في مكروه أو مباح ، فأين هذا من هذا؟.

وأما تسمية «الصَّبر عَلىٰ أحَكَامِهِ» صبراً عليه ، فلا مشاحة في العبارة بعد معرفة المعنىٰ ، فهذا هو الصبر علىٰ أقداره ، وقد جعله الشيخ في الدرجة الثالثة ، وقد عرفت بما تقدم : أن الصبر علىٰ طاعته ، والصبر عن معصيته : أكمل من الصبر علىٰ أقداره - كما ذكرنا[3] - [4] فإن الصبر فيهما[5] صبر اختيار وإيثار ومحبة ، والصبر علىٰ أحكامه الكونية : صبر ضرورة ، وبينهما من البون ما قد عرفت.

---

٤٨٥ ، والمراد به هنا : « شهود القدر ، وهو الجمع الذي تشترك فيه جميع المخلوقات - سعيدها وشقيها - مشهد الجمع الذي يشترك فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر.. » ، الفتاوىٰ ١٠/ ٦٦٨.

(١) ط (وأصحاب).

(٢) ط (مرضىٰ).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (في صبر يوسف عليه السلام).

(٤) وقد أشار شيخ الإسلام إلىٰ صبر يوسف - عليه الصلاة والسلام - في أمراض القلوب ضمن مجموع الفتاوىٰ ١٠/ ١٢٣ ، وفي جواب أهل العلم والإيمان. الفتاوىٰ ١٧/ ٣١.

(٥) غ ، ب (فيها).

وبذلك[١] كان صبر[٢] إبراهيم وموسىٰ ونوح[٣] ،[٤] عليهم الصلاة والسلام، علىٰ ما نالهم في الله باختيارهم وفعلهم ، ومقاومتهم قومهم : أكمل من صبر أيوب علىٰ ما ناله في الله من ابتلائه وامتحانه بما ليس مسبباً[٥] عن فعله[٦].

وكذلك[٧] صَبر إسماعيل الذبيح ، وصبر أبيه إبراهيم[٨] علىٰ تنفيذ أمر الله أكمل من صبر يعقوب علىٰ فقد يوسف.

---

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط (وكذلك).

(٢) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (نوح).

(٣) ق (عيسىٰ).

(٤) الموضع الأول من الخلط في نسخة (ق) لما بلغ قوله : (وعيسىٰ) ، قفز إلىٰ قوله : (ليس رجاءً مشوباً بشك) ص١٨٨٧ ، فلما بلغ قوله : (ولا يستبدل حالاً) ص١٩٠٠، رجع إلىٰ قوله (وعيسىٰ عليهم السلام علىٰ ما نالهم..) ص١٨٧٥ ، فلما بلغ قوله : (من كرامته دائماً لكنه) ص١٨٨٧ ، قفز إلىٰ قوله : (هذا الذي ذكره الشيخ) ص١٩٠٠ ، ومحصلة هذا الأمر تقديم وتأخير لا سقط فيه لكنه يحدث اضطراباً في المعلومات.

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (سبباً).

(٦) انظر تعليق شيخ الإسلام علىٰ مسألة من ابتُلي ومن تعرض للبلوىٰ ، الفتاوىٰ ١٠/ ٥٧٧. ولا يدخل في هذا من تعرض للبلوىٰ في سبيل الدعوة إلىٰ الله فإن من سلك ذلك الطريق فلا بد له من ابتلاء.

وانظر تقسيم ابن القيم في هذه المسألة في عدة الصابرين ٦٦ وما بعدها ، تحقيق د/ بدير أحمد بدير.

(٧) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (كان).

(٨) ط (عليهما السلام).

فعلمت[١] أن الصبر لله أكمل من الصبر بالله ، والصبر علىٰ طاعته والصبر عن معصيته أكمل من الصبر علىٰ قضائه وقدره ، والله المستعان ، وعليه التُكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فإن قلت : الصبر بالله أقوىٰ من الصبر لله ، فإن ما كان بالله كان بحوله وقوته، وما كان به لم يقاومه شيء ، ولم يقم له[٢] ، وهو صبر أرباب الأحوال والتأثير، والصبر لله صبر أهل العبادة والزهد ، ولهذا هم - مع إخلاصهم [٣]وصبرهم لله - أضعف من الصابرين به ، فلهذا قال : «**وَأَضْعَفُ الصَّبرِ : الصَّبرُ لله**».

قيل : المراتب أربع .

إحداها : مرتبة الكمال ،[٤] مرتبةُ أُولي العزم ، وهي الصبر لله وبالله ، فيكون[٥] في صبره[٦] مبتغياً وجه الله ، صابراً به ، متبرئاً من حوله وقوته ، فهذا أقوىٰ المراتب[٧] وأفضلها.

---

(١) ط (بهذا).

(٢) ط زيادة (شيء).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط زيادة (وزهدهم).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط (وهي).

(٥) (فيكون) سقطت من أ ، غ ، ب.

(٦) (في صبره) سقط من أ ، غ ، ب.

(٧) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (وأرفعها).

الثاني[١] : أن لا يكون فيه لا هذا ولا هذا ، فهذا أخسُّ المراتب ، وأردأ الخلق ، وهو جدير بكل خذلان ، وبكل حرمان.

الثالث[٢] : من فيه صبر بالله ، وهو[٣] مستعين متوكل علىٰ حول الله وقوته[٤] ، متبرئ من حوله وقوته ، ولكن صبره ليس لله ، إذ ليس[٥] فيما هو مراد الله الديني منه ، فهذا ينال مطلوبه ، ويظفر به ، ولكن لا عاقبة له ، وربما كانت عاقبته شر العواقب.

وفي هذا المقام خفراء[٦] الكفار وأرباب الأحوال الشيطانية ، فإن صبرهم بالله لا لله ، ولا في الله ، ولهم من الكشف والتأثير بحسب قوة أحوالهم ، وهم من جنس الملوك الظلمة ، فإن الحال كالملك يُعطاه البر والفاجر ، والمؤمن والكافر.

الرابع : من فيه صبر لله؛ لكنه ضعيف النصيب من الصبر به ، والتوكل عليه ، والثقة[٧] به ، والاعتماد عليه ، فهذا له عاقبة حميدة ،

---

(١) ط (الثانية).

(٢) ط (الثالثة مرتبة).

(٣) ق (فهو).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ط ، د (حوله وقوته).

(٥) ط زيادة (صبره).

(٦) أ ، م ، غ ، ب (صبراء).

(٧) (والثقة به) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، (به) سقطت من ق.

ولكنه ضعيف عاجز، مخذول في كثير من مطالبه، لضعف نصيبه من «إياك نعبد وإياك نستعين» فنصيبه من الله: أقوىٰ من نصيبه بالله، فهذا حال المؤمن الضعيف.

وصابر[1] بالله، لا لله: حال الفاجر القوي، وصابر[2] لله وبالله: حال المؤمن القوي، والمؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف[3].

فصابر[4] لله وبالله عزيز حميد، ومن ليس لله ولا بالله مذموم مخذول، ومن هو بالله لا لله قادر مذموم، ومن هو[5] لله لا بالله عاجز محمود.

فبهذا التفصيل يزول الاشتباه في هذا الباب، ويتبين فيه الخطأ من الصواب[6].

* * *

(١) الأصل (صاحب) والصحيح ما أثبته من أ، غ، ب، ط.

(٢) الأصل (صاحب) والصحيح ما أثبته من أ، غ، ب، ط.

(٣) «المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير» أخرجه مسلم. القدر (٤/ ٢٠٥٢) ح(٢٦٦٤)، أحمد (٢/ ٣٧٠)، والنسائي في السنن الكبرىٰ (٦/ ١٥٩) رقم(١٠٣٧٥)، ابن ماجه. الزهد رقم (٤١٦٨)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٢٩).

(٤) الأصل (صاحب) والصحيح ما أثبته من أ، غ، ب، ط.

(٥) (هو) سقطت من د.

(٦) ق (والله أعلم)، و أ، ب (والله سبحانه وتعالىٰ أعلم).